مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

النقد الثقافي مقاربة نقدية في الجهاز المفاهيمي

Cultural criticism is a critical approach in the conceptual apparatus

زوينة بن عميرة[1]
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة
zouinabenamira@gmail.com
أ.د رابح الأطرش
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة
alatrache1954@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/03/31 القبول 2022/10/17 النشر على الخط 2022/11/05
Received 31/03/2022 Accepted 17/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

يعد النقد الثقافي من الآليات التي تعنى بدراسة النصوص الأدبية، وغير الأدبية فهو يعتبر الأدب ظاهرة ثقافية تكتنز في أعماقها أنساقا مضمرة تتعدى حدود البنية الشعرية، والجمالية ومن هذا المنطلق قام بتأسيس مجموعة من الفرضيات، والمقولات التي يتغيى من خلالها سبر أغوار الخطابات، وتفكيك شفرة أنساقها للكشف عن مختلف تمثيلاتها المضمرة.

سنحاول في هذا المقال الوقوف عند أبرز النقاط التي تؤصّل لمفهوم النقد الثقافي، معرجين على أهم المرجعيات المعرفية، والمقولات الفكرية التي يقوم عليها بغية الإجابة عن إشكال رئيس مفاده: ما هي حدود التعالق، والاختلاف على مستوى الاشتغال بين النقد الثقافي، والنقد الأدبي، والدراسات الثقافية؟

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النقد الأدبي، الدراسات الثقافية، النسق.

Abstract:

Cultural criticism is one of the mechanisms concerned with the study of literary and non-literary texts. It considers literature a cultural phenomenon that has implicit systems in its depths that transcend the boundaries of the poetic and aesthetic structure. From this standpoint, he established a group of hypotheses and sayings through which he sought to probe the depths of discourses and decipher their formats to reveal their various implicit representations.

In this article, we will try to stand at the most prominent points that underlie the concept of cultural criticism, referring to the most important cognitive references and the intellectual arguments on which it is based, in order to answer a major problem that is: What are the limits of the relationship and difference at the level of work between cultural criticism, literary criticism and cultural studies?

Keywords: cultural criticism, literary criticism, cultural studies, layout.

[1] المؤلّف المراسل: **زوينة بن عميرة** البريد الإلكتروني: **zouinabenamira@gmail.com**

1. مقدمة:

تعد الثقافة من المفاهيم المركبة، والمكثفة المختلف حول دلالتها نظرا لتراكمها، وتطورها فهي ذلك الكل الذي يشمل المعرفة، والفن، والأخلاق، والعادات، والتقاليد التي تؤثر في الأفراد بوعي، وغير وعي عن طريق الوراثة، والتنشئة فكانت بذلك الثقافة بنوعيها الرسمي، والهامشي مخزون المجتمعات، وأمرا هاما داخل منظومتهم المعرفية، لكن عبر قرون خلت كانت النتاجات النخبوية هي السائدة، فطغى الصوت الواحد، والرؤية الواحدة، كما أن المناهج النقدية على اختلاف اتجاهاتها قدست النصوص المؤسساتية، وكرست جهودها لاكتشافها، وفي خضم التطور الكبير الذي شهدته الميادين المعرفية بعامة، والساحة النقدية بخاصة ظهرت دراسات رفضت الإقليمي، المحلي المركزي، والهامشي، ودعت إلى الأصوات المتعددة، والرؤى المختلفة، وإلى كسر الحدود بين الأجناس، والحقول المعرفية حتى تكون الساحة الثقافية واسعة، وممتدة لا مكان للإقصاء فيها أيا كان نوعه فكانت بذلك الدراسات الثقافية تمهيدا لنشوء النقد الثقافي.

2. النقد الثقافي الماهية والنشأة

1.2 مفهوم النقد الثقافي:

لقد تطرق كثير من الدارسين، والنقاد الغرب، والعرب لهذا النوع من الدراسات المعاصرة من أمثال الأمريكي "فنسنت ـ ب ـ ليتش" الذي يعد أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي، وقد توقف أثناء تحديده للمصطلح عند الثقافة؛ حيث إن «العمل الأدبي عند مثقفي نيويورك ظاهرة ثقافية مفتوحة التحليل من وجهات نظر عديدة. ودعت نظريتهم النقدية إلى اتباع مداخل كثيرة للنصوص الأدبية لأن الثقافة دينامية [نشطة وحية] ومتعددة الأوجه يدخل فيها الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي والقيم الأخلاقية ولأن الافتراضات والتقاليد التي تحافظ الثقافة عليها غير واعية في أكثر الأحيان بل ومتعادية فعلى البحث النقدي في أغلب الأحيان أن لا يكون اجتماعيا وجماعيا فحسب بل تحليليا نفسيا وجدليا أيضا»[1] فالنماذج النصية عنده عبارة عن ظاهرة ثقافية نشطة متعددة الأوجه.

أضحت مناهج النقد التقليدي غير مؤهلة لوحدها على اكتشاف المكنونات الثقافية المضمرة في اللاوعي الأدبي، لهذا استدعت الضرورة البحث عن مشاريع نقدية جديدة تستخدم أدوات، وآليات النقد لتحليل مجالات أعمق، وهكذا تتخطى الدراسات النظرة الجمالية إلى ما وراء الأدبية.

يطرح "ليتش" «مصطلح (النقد الثقافي) مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا، ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية؛ حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أن الخطاب ثقافي، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية، والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي»[2] يجعل "ليتش" من النقد الثقافي مرادفا لمصطلحي ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية وغايته هي إخراج النقد المعاصر مما أصابه من ضيق في أفق التحليل، والاشتغال على النصوص نتيجة لما مارسته المناهج النصانية، وعليه فهو عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات تنتقل من ما هو جمالي إلى ما هو ثقافي، تاريخي، سياسي، وسيوسيولوجي... داعيا بذلك إلى ردم

[1] – فنسنت . ب. ليتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، (المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، 2000)، ص104.

[2] – عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005)، ص ص31– 32.

الحدود الفاصلة بين المعارف المختلفة «فمنهجية ليتش هي منهجية حفرية لتعرية الخطابات، بغية تحصيل الأنساق الثقافية استكشافا واستكناه، وتقويم أنظمتها التواصلية مضمونا وتأثيرا ومرجعية. مع التركيز على الأنظمة العقلية واللاعقلية للظواهر النصية لرصد الأبعاد الإيديولوجية، متأثرا في ذلك بجاك دريدا، ورولان بارت، وميشال فوكو»[1] إذا يتبنى "ليتش" الآليات التفكيكية التشريحية التي عمل بها "دريدا"، و"بارت" لاستجلاء الأنساق الثقافية الأيديولوجية المضمرة داخل النصوص من جهة، وتعرية سياسة المؤسسة الأدبية العاملة على تدعيم النموذج الجمالي، والتسويق له بغية تغير وجهة الاشتغال، وذلك بالابتعاد على كل ما هو إيديولوجي..، ما أدى إلى توجيه فطرة المتلقي، والمسار النقدي.

وإذا كان "ليتش" هو أول من حدد مصطلح النقد الثقافي في الغرب، فإن "عبد الله الغذامي" يعد أول من عربه وطبقه على الخطاب الأدبي العربي، فمن منظوره الثقافة ليست مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة، وإنما هي آليات الهيمنة من خطط، وقوانين وتعليمات [2] ويتجلى هذا في النصوص فهي عنده مشبعة بطاقات ثقافية وبأساليب الهيمنة والسيطرة التي وجب الكشف عنها، وانطلاقا من هذا استند "الغذامي" في تحديده للنقد الثقافي على مقولات "ليتش" فهو عنده «فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن تم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) المعني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/ الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات)، لا بمعنى البحث عن جماليات القبح وإنما المقصود بنظرية القبيحات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحس النقدي»[3] فالنقد الثقافي فرع من فروع النقد بشكل عام، وإفراز لحقل العلامة اللغوية، وظيفته كشف حالة العمى الثقافي عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، التي لطالما زينها النقد الأدبي، "فالغذامي" دعا إلى ضرورة وجود نظريات تكشف « عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة»[4] فكل من "ليتش" و"الغذامي" يجعل من النقد الثقافي مرادفا لمصطلحي ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، والعمل الأدبي عندهما تجسيد لثقافة دينامية متطورة بتطور الشعوب، لهذا لابد من دراسات جديدة تواكب هذا التغير وتكشف عنه دون مغالطات.

أما من منظور "أرثر أيز برجر" فالنقد الثقافي عبارة عن «نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته وأن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، وإن النقد الثقافي كما أعتقد هو مهمة متداخلة، مترابطة، متجاوزة متعددة. كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي وبمقدوره أيضا أن يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي، والنظرية الماركسية، والنظرية الاجتماعية، والأنثربولوجية...إلخ) ودراسات الاتصال، والبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة

---

[1]- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان(2012)، موقع ديوان العرب،
https://www.diwannalarab.com

[2]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص74.

[3]- المرجع نفسه، ص ص83 -84.

[4]- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص2.

(وحتى غير المعاصرة) »[1] فالنقد الثقافي عند "أرثر" نشاط معرفي واسع منفتح على باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية المجاورة للأدب، والنقد لهذا من سننه الاستفادة من مناهج التحليل، والمعطيات النظرية السوسيولوجية، السياسية، الماركسية، الأنثربولوجية والإعلامية، ما فرض على الناقد الثقافي أن يتمتع بمخزون معرفي كبير بتلك الميادين وغيرها، بما في ذلك مناهج التحليل الأدبي النقدي.

في حين يقول "حسين جاسم الموسوي" «هل يمكن الحديث عن النقد الثقافي بصفته فرعا من فروع المعرفة؟ لا يقبل النقاد الثقافيون بذلك ما تأنف المناهج الأدبية المحض من المساس به أو الخوض فيه، إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المبتذل والعادي والوضيع واليومي والسوقي بعدما تمهر كثيرا في قراءة النصوص المستقاة والمنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب على مر العصور في سلالة أو سلالات محكمة قوية، يجري الاختلاف شأن طبقاتها أو رفعتها لا شأن أحقيتها الأدبية أو تفاوتها القاطع مع ما يغاير أسلوبها، لأن النقد الثقافي فعالية لا فرعا معرفيا فإنه يتوخى بلوغ المعارف الأخرى عبر استخدام واسع للنظريات والمفاهيم التي تتيح القرب من الثقافة في المجتمعات»[2] إذا لا يسلم "الموسوي" بالطرح القائل بأن النقد الثقافي فرع من الكل، بل يعتبره آخر مرحلة من مراحل تطور الدراسات الثقافية، فهو فعالية تستعين بمختلف النظريات، والنظم فأضحت بذلك الابن الشرعي لكل التحولات التي عرفتها مختلف الاتجاهات النقدية، كما يلمح من تحديده حديثه عن الدور الجديد للنقد الثقافي؛ في تكميله للقصور الذي وقعت فيه المناهج النقدية بتفكيكه للخطاب الثقافي الرسمي وتوجيه النقد إلى أنواع أخرى من الخطابات المهمشة، الشعبية، السوقية، اليومية.

أما الناقد الجزائري "حفناوي بعلي" فيجعل من النقد الثقافي موازيا للنظرية الماركسية إذ يقول: « إن التعامل مع النص الأدبي من منظور النقد الثقافي يعني وضع ذلك النص داخل السياق السياسي من ناحية، وداخل سياق الناقد أو القارئ من ناحية أخرى وفي هذا يتحرك الناقد من منطلقات ماركسية تركز على العلاقة بين الطبقات، وعلى الصراع الطبقي كعناصر لتحديد الواقع الثقافي، وهكذا يصبح النص علامة ثقافية تتحقق دلالتها فقط من داخل السياق السياسي الذي أنتجها»[3] نلاحظ من هذا الطرح أن صاحبه يربط بين منجزات النظرية الماركسية والنقد الثقافي وبخاصة فيما يتعلق بالاهتمامات المشتركة بينهما، فكلاهما يسعى إلى كشف أشكال التعسف والاضطهاد الذي تمارسه طبقة على أخرى من أجل أن تستعيد الطبقة العاملة مكانتها الثقافية، وتحترم أجناسها الشعبية، وتكون بمنزلة الأدب الرفيع الذي يعد حجاب السلطة، ومسوغ إنجازاتها الأيديولوجية، فالصراع الطبقي يفرز أنماط ثقافية معينة، والإبداع يكون مسرحا لهذا الصراع، وعلى الناقد الثقافي أن يكشف تلك الثيمات الثقافية المضمرة داخل النصوص، والنقد الثقافي يهتم كذلك بالاستقبال الجماهيري، وميول القراء إلى خطاب دون الآخر، ويبحث في أسباب استهلاكه.

ويذهب صاحب كتاب "تحولات النقد الثقافي" الناقد الأردني "عبد القادر الرباعي" إلى جعل النقد الثقافي بديلا للنقد الأدبي، الذي استنفد كل قدراته بعد التغيرات الثقافية الكثيرة التي ظهرت، فتطلب الخروج عن المألوف في الآلية التي تدرس تلك التطورات، مقترحا بذلك النقد الثقافي كبديل إذ يقول عنه إنه: «يعني التوسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق إذ لم يعد الأدب بالمفهوم التقليدي هو السائد غالبا في مجال الدراسة التحليلية والنقدية»[4] ويوافقه "الغذامي" في هذا إذ يقول: «أنا أرى أن النقد الأدبي

---

[1]- آرثر آيز برجر: النقد الثقافي "تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2003)، ص ص30-31.

[2]- محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2005)،ص12.

[3]- حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، (منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007)، ص47.

[4]- عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، (دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2007)، ص15.

كما تعهده، وبمدارسه القديمة والحديثة قد بلغ حد النضج، أو سن اليأس حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي بما أننا جزء من العالم متأثرون به ومنفعلون بمتغيراته»[1] "الغذامي" يوافق "الرباعي" في طرحه بأن النقد الثقافي لابد أن يكون بديلا للنقد الأدبي، ولكنه مع ذلك يعترف بمنجزاته التي بلغت سن اليأس على حد وصفه، كما أنه لا يمكنه أن يكون بديلا تاما له ما دام يستعين آلياته المنهجية.

من خلال ما تقدم من آراء حول النقد الثقافي، نستشف أنه من بين المصطلحات النقدية المنفتحة على حقول معرفية متعددة، ما صعب على النقاد إيجاد تعريف جامع مانع له فاهتماماته الواسعة، وخصائصه المميزة جعلته يتماهى عن كل تحديد، لكن هذا لم يمنعهم من تحديده وتأطيره نقديا، إذ عرف بأنه نشاط وليس مجالا معرفيا بذاته، وفرع من فروع النقد النصوصي العام، ومرادف لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، كما أنه فعالية تستعين بمختلف المعارف والنظريات والمفاهيم الموجودة في شتى الحقول، لتكشف الأنساق المضمرة داخل النصوص التي لطالما همشها النقد الأدبي فاستحق بذلك أن يكون بديلا عنه.

2.2 نشأة وتطور النقد الثقافي:

1.2.2 عند الغرب

كانت انطلاقة النقد الثقافي انطلاقة غربية؛ حيث إن جذوره الأولى ظهرت في أوروبا حسب تقدير بعض الباحثين، في القرن الثامن عشر، غير أن بعض التغيرات الحديثة لاسيما مع مجيء النصف الثاني من القرن العشرين، أخذت تكسبه سمات محددة على المستويين المعرفي، والمنهجي لتفصله من ثم عن غيره من ألوان النقد وبالقدر الذي استدعى الإشارة إليه، مع بداية التسعينات من القرن الماضي بوصفه لونا مستقلا من ألوان البحث، وقد تطور الأمر بأحد الباحثين الأمريكيين المعاصرين وهو "فنسنت ليتش" للدعوة إلى " نقد ثقافي ما بعد بنيوي " ليقوم بدور مفقود حسب رأيه في ميادين البحث المعاصرة خاصة في كتابه (النقد والطابو: النقد الأدبي القديم) 1987 حيث بلور منهجية جديدة اصطلح عليها النقد الثقافي، كما أصدر مجموعة من الكتب النقدية منها: ما بعد البنيوية، والنقد الثقافي، والنظرية الأدبية، والنقد الأدبي الأمريكي، غير أن النقد الثقافي ظل بعيدا عن التقعيد، والتنظير الذي أثر في تبلور اتجاهات أخرى، فهو مثلا غائب عن عدد من المعاجم النقدية، ومنها المعجم المختص بالجانب الثقافي من النقد: "معجم النظرية الثقافية والنقدية" dictionary: of cultural and critical theory الصادر 1996م ويرجع "ليتش" ذلك إلى أن النقد الثقافي تعرض لعائق كبير يتمثل في الشكلانية، وما يقاربها من اتجاهات أخرى بحرصهم على قراءة النص من الداخل، والتقيد بحدوده الشكلية، أي عدم الدخول في أية مسائل تتصل بالسياق، والثقافة عموما وهو ما جاءت مرحلة ما بعد البنيوية لتنقضه[2] وهذا ما أكده "طراد الكبيسي" إذ قال: بإن مهمة النقد الثقافي تكمن في تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية، والنقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية الرسمية [3] بالإضافة إلى كتاب " أرتر أيزا برجر" الذي عنوانه ب:(النقد الثقافي تمهيدا مبدئيا للمفاهيم الرئيسية)، كما تعد مقالة المفكر الألماني اليهودي "تيودور أدورنو" 1949 (النقد الثقافي والمجتمع) إحدى الإشارات المبكرة للنقد الثقافي؛ حيث هاجم فيها الثقافة الأوروبية

[1]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، (دار الفكر، بيروت، 2004)، ص12.

[2]- سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002)، ص ص 306-308.

[3]- طراد الكبيسي: مدخل في نظرية الأدب، (دار اليازوري العلمية، عمان، 2009)، ص44.

البورجوازية، وقد شاركه في هجومه هذا العديد من المفكرين والنقاد؛ إذ انتقدوا الثقافة الغربية في ألمانيا بوصفها متسامحة مع النزوع التأمري ضد الأقليات، وذوي الاتجاهات الثقافية المختلفة من جماعات وأفراد، وتعاملهم مع الثقافة على أنها سلع وقيم تجارية.

كما كان لـ" يورغن هابرماس" الفيلسوف الألماني وزميله "أدورنو" في مدرسة فرانكفورت كتاب بعنوان: (المحافظون الجدد: النقد الثقافي والحوار التاريخي) وهو لم يختص بتعريف المفهوم بل اكتفى بدلالته الشائعة. وكان للمؤرخ الأمريكي "هيدن وايت" كتاب بعنوان: (بلا غيات الخطاب: مقالات في النقد الثقافي) 1978، أما عمله (كلاسيكيات النقد الثقافي) 1990 كان العمل الأكثر اتصالا بالموضوع من الناحية المنهجية والاصطلاحية [1] وهكذا ارتبط تاريخ النقد الثقافي بمدرسة فرانكفورت وبالمفكرين الألمان أمثال: هور كهيمر، وأدورنو، وماركيز، وفي الوقت الراهن هابرماس. وهي نظرية سوسيو ثقافية نقدية هاجر أغلب أعضائها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وظلت أدبيتها هامشية حتى عادت إلى الظهور مرة أخرى في التسعينات[2] كذلك نجد أراء النقاد والكتاب البريطانيين المعروفين مثل :" فرجينيا وولف"، و" د. ب. لورنس"، و"ت. س . إليوت"[3]

طرح " كلنر" نظريته في النقد الثقافي آخذا مدرسة بيرمنغهام، ومدرسة فرانكفورت في الدراسات الثقافية كمصدر من مصادره، ويضيف إليهما نظرية ما بعد الحداثة، والتعددية الثقافية، النقد السنوي[4] هذا وكان للدراسات الثقافية دور في بلورة مفهوم النقد الثقافي، كونها حقل يهتم بدراسة الثقافة البشرية، وبعلاقاتها بالسلطة، باختبار مدى تأثير تلك العلاقة بين الممارسات الثقافية، والسلطة في تشكيل الممارسات النهائية للثقافة[5]

ومن النقاد الذين كتبوا في النقد الثقافي نجد " تيري إيجلتون" الذي أشار إلى وجود أنساق أيديولوجية معينة تتوارى في بنية النص الأدبي، بحيث تقدم هذه الأنساق نفسها في العمل بوساطة أشكال متنوعة[6] زد عل هذا ما قدمه "إدوارد سعيد" في كتابه (الاستشراق) الذي عمل فيه على «كشف العلاقة بين المجتمع والتاريخ والنصوصية، من حيث إن صورة الشرق في الغرب تربط خطاب بين المجتمع والتاريخ والنصوصية»[7] كل هذه الإنجازات وغيرها التي قام بها هؤلاء النقاد، جعلت النقد الثقافي بارز في العالم؛ إذ أكسبته أهمية حفزت النقاد على الخوض فيه وتوسيعه.

2.2.2 عند العرب

إذا كان النقد الثقافي نشاطا فكريا يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه، وتفكيره ومعبر عن تطوراتها وسماتها، وليس بالمعنى ما بعد البنيوي كما اقترحه " ليتش"، فإنه يمكن الحديث عن الكثير من النقد الذي قدمه الكتاب العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بوصفه نقدا ثقافيا، أي بوصفه استكشافا لتكوين الثقافة العربية، وتقويما لها فمن كتب "طه حسين" نجد (الشعر الجاهلي) أو (مستقبل الثقافة في مصر)، إذ يعد نقدا ثقافيا، كذلك ما نشره "العقاد" و"جماعة الديوان" وبعض المهجرين، ثم نقد

---

[1]- سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص307.

[2]- حفناوي بعلي: مسارات ومدارات ما بعد الحداثة "في ترويض وتفويض الخطاب"، ص148.

[3]- محمد بن لافي اللويش: الجمالي والفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي، (مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2012)، ص21.

[4]- يوسف عليمات: النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، (جدار الكتاب العالمي، عمان، 2009)، ص166.

[5]- حفناوي بعلي: مسارات ومدارات ما بعد الحداثة " في ترويض الخطاب "، ص13.

[6]- سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص309.

[7]- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص16.

"أدونيس" في (الثابت والمتحول) وكتابات بعض الباحثين المعاصرين "كعبد الله العروي"، و"محمد عابد الجابري"، و"طه عبد الرحمن"، و"هشام جعيط"، و"فهمي جدعان" و"علي حرب" و"محمود أمين العالم"...

غير أن المحاولة الوحيدة المعروفة لتبني النقد الثقافي بمفهومه الغربي بشكل مباشر هي محاولة "عبد الله الغذامي" في كتابه المعنوان بـ: (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية) 2000 ومحاولته تمثل مسعى جاد لاستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي »[1] كذلك كتابه المشترك مع الدكتور "عبد النبي اصطيف" الموسوم بـ: (نقد ثقافي أم نقد أدبي) و"سعد البازعي" و"ميجان الرويلي" في كتابهما: (دليل الناقد الأدبي)؛ والباحث الجزائري "حفناوي بعلي" في كتابه (مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن)، و"صلاح قنصوة" في كتابه (تمارين في النقد الثقافي)، وللدارس العراقي "محسن جاسم الموسوي" كتاب عنوانه بـ: (النظرية والنقد الثقافي)، كما وجدت العديد من الدراسات في مجال الدراسات الثقافية، ولاسيما النقد النسوي ككتاب "نعيمة هدى المدغري"(النقد النسوي حوار المساواة في الفكر والأدب) وكتاب "زهور كرام" (السرد النسائي العربي) وكتاب "فاطمة الزهراء أزرويل" وآخرون وهو تحت عنوان (ملامح نسائية).[2]

3 النقد الثقافي والتداخل المنهجي

من سنن النقد الثقافي استفادته من ميادين شتى، لهذا يتداخل مصطلحه مع جملة من المعارف والمناهج، كما أنه يختلف عن بعضها.

2.3 النقد الثقافي والنقد الأدبي:

النقد الأدبي من أهم الميادين المعرفية التي يجد النقد الثقافي نفسه مواجهة معها من الناحية المنهجية إذ لخص "ناظم عودة" أهم الفروق بينهما في قوله: «**الفرق الأول**: هو أن النقد الأدبي يحاول الكشف عن المعايير الجمالية، والقواعد الداخلية للنص اللغوي. أما النقد الثقافي فهدفه الكشف عن التمثيلات الثقافية داخل النص اللغوي وغير اللغوي.

الفرق الثاني: هو أن النقد الثقافي يرى أن النقد الأدبي يقوم على معرفة متعالية تعالج النص بمعايير، وأدوات متعالية أيضا تكمن في تمسكه بمقترحات نظرية لا محيص عنها مطلقا، كما زاد النقد الثقافي تهمة أخرى لغريمه النقد الأدبي، بأنه نقد مؤسساتي تنتجه النخبة لتقرأه، وتلتذ به النخبة كذلك.

وهناك فرق أخر هو ما يتعلق بالقيمة الفنية إذ يرى النقد الثقافي أن القيمة الثقافية ليست حكرا على النماذج الأدبية الراقية، إنما تنطوي النماذج النصية الشعبية على قيمة ثقافية قد تفوق أحيانا تلك التي تكشف عنها النماذج الراقية ويبرز ذلك في أن الأدب الراقي مصوغ صياغة فيها مجال واسع للصنعة والتقليد»[3] أما الأدب الشعبي فهو منتج على البديهة وعدم التقليد لكن هذا لا ينفي وجود تداخل منهجي بين المجالين، فالنقد الثقافي استمد من النقد الأدبي آلياته، ومناهجه المختلفة ليعالج نصوصه، فالمنهج التاريخي يمنحه القدرة على اكتشاف الأخطاء الحضارية التي تروجها نصوص السلطة، المنهج النفسي يطلعه على مكنونات الشخصية،

[1] – سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص309.

[2] – جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ص16.

[3] – ناظم عودة: تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، (دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2009)، ص351.

ومضمراتها الثقافية، المنهج الاجتماعي يساعده في قضية الاستهلاك ورواج فن على حساب فن ويمنحه تفسيرات لتقبل القارئ نمط معين من النصوص، أما المناهج النصانية فكانت داعما للثورة، وتقويض شكل لطالما حصر النص وجعل منه عالم مجهول، فالمناهج الأدبية عموما حازت على ثقة الدارس من خلال النتائج المتوصل إليها، وليس انتقاصا لو انطلق النقد الثقافي من هذه الخلفية.

3.3 النقد الثقافي والدراسات الثقافية:

لا يختلف اثنان أن الدراسات الثقافية والنقد الثقافي جاءا ليكسران مركزية النص، إذ لم تعد الذات الناقدة مهتمة بشاعريته وجماليته، وتقنيات كتابته بل غايتهما منه غير ذلك، لكن هذا لا يمنع من وجود فوارق جوهرية بينهما حيث إن:

- الدراسات الثقافية أولى في الظهور من النقد الثقافي، فهي القاعدة التي بينت له الأماكن، وأسماء الأعلام والرواد الذين اهتموا بالخطاب الثقافي.
- اختلفا في سبب الظهور فالدراسات الثقافية جاءت نتيجة المعارضات، والتناقضات السائدة في الوسط الثقافي، أما النقد الثقافي جاء ليعوض الخلل الموجود في النقد الأدبي.
- النقد الثقافي يتعامل مع النصوص الأدبية، والجمالية ليكشف أنساقها المضمرة لهذا هو ينتمي إلى حقل نظرية الأدب، أما الدراسات الثقافية تهتم بأشكال الثقافة، والبشرية البدائية الحديثة لهذا فهي تنتمي إلى حقل الأنثربولوجيا، والأنثولوجيا، وعلم الاجتماع.
- النص بالنسبة للدراسات الثقافية ليس غايتها القصوى كما تفضل "الغذامي" فهو وسيلة لاستكشاف إشكاليات إيديولوجية، وأنظمة اجتماعية مضمرة، أما النقد الثقافي فالنص هو منطقه، وأساسه لكشف الأنساق المضمرة.
- النقد الثقافي مقاربة لفهم مكونات الثقافة المضمرة في لا وعي النص، في حين الدراسات الثقافية تهتم بعمليات إنتاج الثقافة، وكيفية توزيعها وترسيخها عند المستهلك "الامتاع" و"التأثيرات الأيديولوجية".

4.3 النقد الثقافي ونظرية الأدب:

تمد نظرية الأدب النقد الثقافي بجملة من الأدوات، والآليات التحليلية، والأسس النظرية التي يستقيم بها درسه ومن أبرزها:

«**1. التحليل**: عن طريق تفكيك العمل الأدبي واستعمال أكثر من مجال في ذلك كالاعتماد على الجمالي والعلاماتي والأسطوري والنسوي.

2. التفسير: عن طريق تطبيق مجموعة من الإجراءات المتصلة بمجال عقلي ما مثل التحليل النفسي، والمنهج الماركسي اليساري والنظرية الاجتماعية.

3. التأويل: الاعتناء بمناهج تفسير الأدب وتعتبر في النقد الثقافي والأدبي منهجا للتناول وإماطة اللثام عن معنى النص»[1] تعد هذه الخطوات من أهم منطلقات النقد الثقافي في كسر مركزية النص، واستكشاف التمثيلات الثقافية وتأويلها.

5.3 النقد الثقافي وعلم العلامات:

نظرا للتطور التكنولوجي الكبير الذي طغى على كل المجالات ظهر على الساحة أنواع جديدة من الفن والعلم، كالثقافة الجماهيرية، الأدب الرقمي، ثقافة الصورة والميديا، ثقافة العولمة، يقول "الغذامي" في هذا الشأن: «الحق أن الصورة تعتدي علينا

[1]- عز الدين المناصرة: النقد الثقافي المقارن، (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2005)، ص234.

فعلا، فهي تقتحم إحساسنا الوجداني وتتدخل في تكويننا العقلي بل إنها تتحكم في قراراتنا الاقتصادية حيث تضطرنا إلى صرف مال ما كنا سنصرفه لولا مفعول ثقافة الصورة، وهي مثلما تسلب علينا راحتنا النفسية فإنها أيضا تمتعنا متعة من نوع جديد وبالغة التأثير، تماما مثلما تدير ردود فعلنا السياسية والاجتماعية وتؤثر في توجهاتنا الفكرية والثقافية»[1] فالنقد الثقافي أدرك مدى تأثير الوسائل التكنولوجية على المتلقي وطريقة التي تتبعها في ترسيخ نسق ثقافي ما، كما أن هذه الوسائل فتحت له أفاق جديدة للدراسة كالثقافة الإعلامية، والإشهارية... ولولوجه لهذا المجال اعتمد على أسس علم العلامات التي تسمح له بفهم خبايا الصورة المتنوعة، وتفسير شفرات الإشهار ومختلف المجالات الأخرى، فعلم العلامات علم يتم استخدامه «في نقد الفنون الرفيعة والأدب والأفلام السينمائية وفي الأعمال الإبداعية وكذلك في تفسير الفن المعماري والهندسة المعمارية وفي دراسة فنون الموضة والأزياء، وتحليل تعبيرات الوجه الإنساني وفي تفسير إعلانات المجالات والإعلانات التجارية والإذاعية والتلفزيون»[2] إذا فالنقد الثقافي استمد من علم العلامات آليات تسمح له بقراءة ودراسة النصوص الأدبية وكذلك غير أدبية، كما مكّنه من كشف حيل الثقافة التي تتبعها من أجل تكريس نسق معين عن طريق وسائل الإعلام، الإشهار، الصورة.

4. مقولاته الفكرية ومرتكزاته المنهجية

1.4 مقولات النقد الثقافي:

بعد تقديم تعريفات للنقد الثقافي، منها من حددت طبيعته، وأخرى عرفت بوظيفتة أعقبناها بتداخله المعرفي والمنهجي مع العديد من المعارف، والعلوم بالتركيز على أهم الفروق الجوهرية المميزة له عن غيره، ومع من يتداخل. الآن نتطرق إلى مقولاته ومسلماته التي ينطلق منها لدراسة النماذج الأدبية بغية توضيح الصورة والتعريف بالمصطلح أكثر، كون أن منطلقات الشيء وجه من أوجه تنويره به.

يقوم النقد الثقافي بالكشف عن الأنساق الثقافية، والتمثيلات المضمرة داخل الخطابات على اختلاف أجناسها لهذا فهو:

نقد متكامل لا يرفض الأصناف الأخرى من النقد، بل يرفض هيمنة نوع معين، مما يؤدي إلى القصور في الدراسة، وذلك لأن ضوابطه المنهجية تلزمه بكشف جانب وإهمال جوانب أخرى فهو لم يلغ منجزات النقد الأدبي بل «تجاوز الأدب الجمالي الرسمي، إلى تناول الإنتاج الثقافي أيا كان نوعه ومستواه وبالتالي فهو نقد يسعى إلى دراسة الأعمال الهامشية التي طالما أنكر النقد الأدبي قيمتها وأهميتها بحكم أنها لا تخضع لشرط الذوق النقدي»[3] النقد الثقافي يتطلب مساحة أكبر من الحرية، سواء أكان من ناحية الموضوع أو طرق تناوله لهذا يقول "ليتش" وهو الذي لخص مقولات النقد الثقافي في ثلاث مقولات هذه إحداها "من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي"[4] فاختلاف المناهج يثري الدراسة أكثر.

---

[1]- عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية "سقوط النخبة وبروز الشعبي"، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005)، ص ص7-8.

[2]- آرثر أيزا برجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية "، ص123.

[3]- ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، (دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2005)، ص199..

[4]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص32.

يسعى النقد الثقافي إلى كشف جماليات جديدة في الواقع بوصفه نصا شاملا، وحتى في النصوص الأدبية نفسها جماليات غير التي عمل النقد الأدبي على كشفها وتكريسها إذ «قيم مثقفو نيويورك الدعاوى الجمالية بحذر بالغ: وهذه الدعاوى ثانوية بالنسبة للظروف التاريخية والاجتماعية والأخلاقية ذات الأولوية. والجماليات تندرج تحت خانة الثقافة. صحيح أن التحليل الجمالي أساسي وضروري لكنه في نهاية الأمر غير كاف لمشروع النقد الثقافي»[1]

2.4 مرتكزات النقد الثقافي:

عمل "الغذامي" في مهمته لإرساء قواعد للنقد الثقافي في الوطن العربي، على إحداث نموذج جديد من ناحية الموضوع والأداة معا، تبعها بنقلة اصطلاحية في المنظومة المصطلحية النقدية المعهودة، حتى تتماشى مع مقولات ومبادئ النقد الثقافي.

لهذا بنى مشروعه على جمله من الثوابت، والمفاهيم النظرية التي هي بمثابة أسس فكرية ومرتكزات منهجية يقوم عليها النقد الثقافي تتمثل في ست أساسيات اصطلاحية هي:

1.2.4 عناصر الرسالة (الوظيفة النسقية):

إذا كان "رومان جاكبسون" قد حدد ست وظائف لستة عناصر، الوظيفة الانفعالية للمرسل، الوظيفة التأثيرية للمرسل له، الوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة التنبيهية لأداة الاتصال، والوظيفة الجمالية للرسالة.

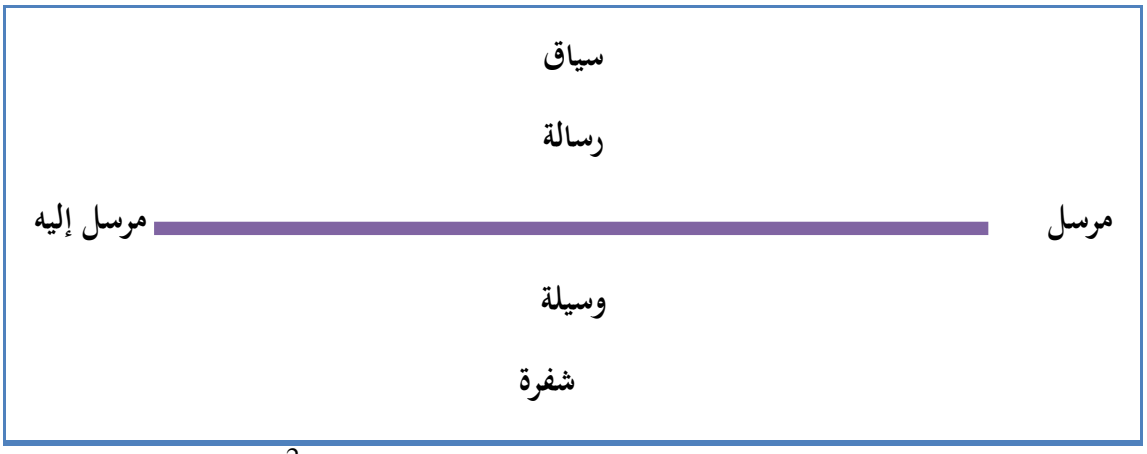

وكل قول يحدث إنما يدور في هذه الحلقات الستة مهما كان نوع ذلك القول[2] وعند إضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي يقوم النقد الثقافي بكشف المضمر في الخطابات إذ ينتقل من الدلالة الحرفية، والتضمنية إلى الدلالة النسقية وعندها يكون النموذج الاتصالي "الغذامي" بعد إضافة العنصر السابع كالتالي: [3]

[1]– فنست .ب. ليتش: النقد الأدبي الامريكي ما بين الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ص107.

[2]– عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير "من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر"، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998)، ص9.

[3]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص66.

2.2.4 الدلالة النسقية:

يقول "الغذامي": «إذا قبلنا بإضافة عنصر السابع إلى عناصر الرسالة الستة وسميناه العنصر النسقي، فهو سيصبح المولد للدلالة النسقية، وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ما تخبئه اللغة من مخزون دلالي»[1] ويضيف "الغذامي" إن «المهم هنا أن نسلم بضرورة اتجاه نوع ثالث من الدلالة هو(الدلالة النسقية) وعبر هذه الدلالة سنسعى إلى الكشف عن الفعل النسقي من داخل الخطابات، وتكون الدلالات حينئذ كالتالي:

1- الدلالة الصريحة، وهي عملية توصيلية.

2- الدلالة الضمنية، وهي أدبية جمالية.

3- الدلالة النسقية، وهي ذات بعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية»[2]

3.2.4 الجملة الثقافية:

يميز النقد الثقافي منهجيا بين ثلاث أنواع من الجمل: الجملة النحوية ذات البعد التداولي التواصلي والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني، والجملة الثقافية وهي: «حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية»[3] ونفهم من هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف لأنها تعنى باستكشاف المضمر الثقافي. وهذا ما يؤكده "عبد الرحمان بن إسماعيل السماعيل" بقوله: الجملة الثقافية هي مناط الاهتمام من طرف النقد الثقافي، وعليه فأنواع الجمل ثلاثة هي:

1.3.2.4 الجملة المرتبطة بالدلالة الصريحة.

2.3.2.4 الجملة الأدبية: ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة.

---

[1]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص26.

[2]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص73.

[3]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص28.

3.3.2.4 الجملة الثقافية: المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة[1]

4.2.4 المجاز الكلي:

يسعى النقد الثقافي إلى استخلاص المجازات الثقافية الكبرى التي تتجاوز المجاز البلاغي، وهكذا يتحول النص إلى مضمرات ثقافية لهذا نحن بحاجة لكشف المجاز الكلي وهو «الجانب الذي يمثل قناعا تتفتح به اللغة لتمرر أنساقها دون وعي منا، حتى لنصاب بما سميته من قبل بالعمى الثقافي. وفي اللغة مجازاتها الكبرى والكلية التي تتطلب منا عملا مختلفا لكي نكشفها، ولا تكفي الأدوات القديمة لكشف ذلك»[2] وهكذا أضحى الخطاب الثقافي مجازات كلية في طياتها مدلولات غير التي كانت الاستعارات السابقة تحملها وهي في أصح مقصديات ثقافية.

5.2.4 التورية الثقافية:

تتكئ التورية الثقافية في النقد الثقافي إلى معنيين: معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مضمر، وهو المقصود ويعني هنا أن التورية الثقافية هي كشف للمضمر الثقافي المختبئ وراء السطور[3]

6.2.4 المؤلف المزدوج:

عند المقاربة الثقافية نجد مؤلف مزدوج، الأول هو الكاتب الأدبي الذي ينتج أنساقا جمالية مباشرة، وغير مباشرة عن طريق الإيحائية، والثاني هو المبدع الثقافي الذي يتمثل في الثقافة ذاتها في شكل أنساق مضمرة غير واعية لـ «يأتي مفهوم المؤلف المزدوج بعد هذه المنظومة الإصلاحية لتأكيد أن هناك مؤلفا أخر بإزاء المؤلف المعهود وذلك هو أن الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف أخر يصاحب المؤلف المعلن، وتشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف»[4] أي أن النص يحتوي على فاعلين: فاعل جمالي وفاعل ثقافي.

وبهذا يكون "الغذامي" قد أنتج سلسلة من المصطلحات النقدية الجديدة مثل: وظيفة اللغة، المجاز، التورية، الجملة، المؤلف، إذا أضاف العنصر السابع "النسق" لعناصر الرسالة عند "جاكبسون" المتولدة عنه" الدلالة النسقية"، كما أضاف «التورية الثقافية» كمصطلح جديد تتحرك دلالته عن مقولتي القرب والبعد.

لتصل إلى المضمر وتستدعي لا وعي اللغة، ولعل أهم إضافة مصطلحية صريحة تماما تتعلق ب "الجملة النوعية" أو "الثقافية" المختلفة عن الجملة النحوية، البلاغية التي تتميز بكونها تبدو في الظاهر، والمباشر من إبداع المبدع وحده. كما أنه كشف عن الفاعل الثقافي كمؤلف ثان للخطاب الثقافي[5] فهذه المرتكزات هي المسلمات التي ينطلق منها الناقد الثقافي للكشف المضمر الثقافي الذي تخفيه الاستعارات...

---

[1]- عبد الرحمان بن اسماعيل السماعيل: الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، (مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض، 2002)، ص158.

[2]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص ص28-29.

[3]- المرجع نفسه، ص29.

[4]- المرجع نفسه، ص34.

[5]- معجب الزهراني: النقد الثقافي... نظرية جديدة، أم انجاز في سياق مشروع متجدد، ضمن كتاب: الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، حسين السما هيجي وآخرون، (دار الفارس، الأردن، 2003)، ص144.

5. النقد الثقافي في ميزان النقد

انفتاح الأدب على العلوم الإنسانية، والفنون المختلفة فرض وجود أشكال أخرى للتعبير ساهمت التكنولوجيا في انتشارها، فأضحت مناهجه التقليدية غير قادرة على مجاراة متطلبات هذا الانفتاح والتغير ما دفع بالنقاد إلى تبني دراسة جديدة تكون قادرة على الإحاطة بالنص الأدبي الجديد الغني بأجناسه وفي تقنياته ودلالاته، فكان النقد الثقافي حلا للمعضلة النقدية، وللتيه الكبير الذي عرفه النص بعد فقدانه لسلطته، ففي الوقت الذي أعلن فيه "الغذامي" موت النقد الأدبي، وتبنيه للنقد الثقافي انقسم الرأي النقدي إلى اتجاهين: اتجاه مرحب بالطرح عامل به، وأخر رافض له ويحذر من تبعياته على الثقافة العربية وفي ظل الصراع بين أنصار النقد الأدبي والمدافعين عن النقد الثقافي نجد: "سعيد يقطين" الذي يقول: «ما يزال هناك متسع لما يمكن أن يصطلح به النقد الأدبي في حياتنا، وإن كنا لسنا ضد تنوع اتجاهاته وتياراته، والنقد الثقافي واحد منها»[1] فهو يرد على الآراء التي أعلنت فقدان النقد الأدبي لوظيفته، بل هو ينوه لقدرته على البقاء والتطور كذلك ليشمل أنواع وفروع أخرى والنقد الثقافي واحد منها.

ويرد "عبد النبي اصطيف" في حواريته مع "الغذامي" في كتاب: "نقد ثقافي أم نقد أدبي" على التساؤل القائل: هل استنفد النقد الأدبي مسوغات وجوده وأخفق في تأدية وظائفه ومهماته؟ قائلا: يبدو ولبعض من باتوا يضيقون ذرعا بممارساته في المجتمعات العربية الحديثة، هو نعم، وحجتهم في ذلك تستند إلى وعي واضح بالتغيرات التي شهدتها عملية الإنتاج الأدبي والثقافي في المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة والتي تتطلب صنفا أخر من النقد الأدبي وهذا الصنف هو النقد الثقافي. لهذا لابد على المجتمعات العربية الحديثة أن تدع النقد الأدبي، وتفارقه فراقا لا لقاء بعده، وتلجأ إلى النقد الثقافي الذي يملك مفاتيح الإنتاج الأدبي العربي الحديث بعدما استنفد النقد الأدبي أسباب وجوده[2]، كما ينزه "اصطيف" النقد الأدبي من كل نقص ويجعل القصور في النقاد والباحثين الذين عجزوا على تصور طبيعة النقد الأدبي، ووظيفته وحدوده، فلو استطاعوا لكان النقد الأدبي قادرا على تأدية وظيفته الحيوية في مراقبة عملية الإنتاج الأدبي الجديد في المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة، بل إنه ربما يسهم على نحو غير مباشر في إلهام النقد الثقافي ليتدبر بدوره ضروب الإنتاج الثقافي الأخرى التي هي من شأنه[3] فهو يرد على "الغذامي" القائل بموت النقد الأدبي بأن النقد الثقافي رغم إنجازاته لم يلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية، بل إن النقد الأدبي قد شهد في هذه المجتمعات ازدهارا مماثلا، وهو لا يزال يقوم بالكثير من الوظائف التي يرد دعاة النقد الثقافي في الوطن العربي أن يسندوها إلى النقد الثقافي ومن هنا: أو ليس النقد الثقافي مجرد تسمية حديثة لوظيفة قديمة؟[4]

ومن بين الذين حذروا من النقد الثقافي "عبد العزيز حمودة" القائل «هناك مشروعا نقديا جديد يجري الترويج له اليوم في أروقة المثقفين العرب هو النقد الثقافي، الذي يمثل افتتانا جديد بمشروع نقدي غربي تخطته الأحداث داخل الثقافة أو الثقافات التي أنتجته"[5] فهو من الناقدين الذين عمدت دراساتهم المختلفة "المرايا المحدبة"، "المرايا المقعرة" و"الخروج من التيه" إلى التعريف بالتيه الذي تشهده الساحة النقدية الغربية وبعده العربية بسبب تقليدها الأعمى وانبهارها بكل ما هو غربي. فهو يؤكد على أن ذلك التيه

---

[1]- سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل العربية نحو كتابة عربية رقمية، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008)، ص49.

[2]- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص ص65-67.

[3]- المرجع نفسه، ص68.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه "دراسة في سلطة النص"، سلسلة عالم المعرفة، العدد 298، نوفمبر 2003، ص351.

ليس من صنعنا ولابد أن لا يطال ثقافتنا العربية بسبب قطيعتنا مع تراثنا وانبهارنا بكل منجزات الأخر. ولتحقيق الفطام النهائي للعقل العربي اقترح "حمودة" في مؤلفه "المرايا المقعرة" نظرية نقدية عربية، وذلك عن طريق قراءة جديدة لنماذج البلاغة العربية في عصرها الذهبي رافضا بذلك موقف "الغذامي" الذي قال: "لقد شاع عن الشيخ أمين الخولي قوله عن البلاغة العربية بأنها: نضجت حتى احترقت وهذا رأي فيه صدق وبصيرة ولكننا مع هذا ما زلنا ندرس طلابنا في المدارس والجامعات مادة البلاغة بعلومها الثلاثة، ولا نعي أنما ندرسه لهم هو علم لم يعد يصلح لشيء، فلا هو أداة نقدية صالحة للتوظيف، ولا هو أساس لمعرفة ذوقية أو تبصير جمالي... ونحن في الجامعات ندرس طلابنا وطالباتنا كل ما هو نقيض لهذه البلاغة. وقد نظن أن إلغاءها سيكون بمثابة الانتحار المعرفي، أو التآمر ضد التراث وضد ذائقة الأمة»[1] وفي عودته هذه ليس نبش "تحت جذور الماضي" كما وصفها أحد هواة النقد، كما أنها لم تكن إحياء للمعركة التي تخطاها الزمن بين "الجديد والقديم" حسبما أسماها أخر أساء قراءة الدراسة بالقطع، ولم تكن بأي حال دعوة إلى التقوقع داخل شرنقة الذات في دعوة انتحارية إلى العزلة الثقافية. ولكنها كانت دعوة لتطويرها أسماها "العقاد" في سنوات نضجه بـ"الهوية الواقية" عن طريق تطوير نظرية لغوية وأدبية عربية تقوم على الاتصال الكامل بالأخر الثقافي مع التمسك بجذورها الثقافية[2] ويقول "الغذامي" على هذه الفئة المتخوفة من كل جديد على أنها «عجزت عن تفهم التحول الجذري هذا وراح البعض يشهرون بهذا التحول مستنكرين وغير قابلين، ولست أشك في أن التخوف من التحول واستنكاره ما هو إلا وجه من وجوه لعبة النسق، وهو نسق يعزز فكرة الثبات والسكينة والتسليم بما هو أولي وعرفي، وينزعج من التحولات والتغيرات الجذرية وإذا ما جاء ناقد أدبي عرف بهذه الصفة، ثم أعلن تحوله وانقلابه على ما هو معهود عنه فإن هذا خطر نسقي يهدد بال الثقافة وحراسها من الفحول الأشاوس، وهذا ديدن بدعي لا تطمئن إليه أي ثقافة نسقية»[3] فرأي هؤلاء ناتج عن إشكالية يعاني منها المثقف العربي تتمثل في الاتباعية للقديم والخوف من الخوض في كل جديد، ذلك أنه يتطلب جرأة وهذا ما لا يتناسب مع شخصيته.

وينسب النقد الثقافي في الوطن العربي للناقد السعودي "عبد الله الغذامي"، وما يطال المشروع من انتقادات سلبية وأخرى إيجابية يطال صاحبه كذلك.

يقول "محمد أحمد البنكي": «من حيث البدء تعالوا لنتحدث عن الصورة القابعة في متخيل عدد لا بأس به من المثقفين حول الغذامي كمسوق جيد. أغلب من كتب عن ملامح الغذامي كـ«متصل» لاحظ عليه صفات من مثل: القدرة على التبشير الحماسي بأفكاره والموهبة في اصناع الإثارة، والنجاح في اغراء الأخرين بالمجال حول كتاباته، واستثمار لغة ونغمة المرحلة في طرح ما يريد ... ويعلن "الحازمي" وهذا شيء لا يستهان به، بعد أن فقدنا مثل هذه المواهب منذ أمد طويل»[4]

كما يتبنى "محمد عبد المطلب" من الذين تبنّوا النقد الثقافي وأخذ يبحث له عن جذور في الثقافة العربية إذ يقول: «والنقد الأدبي عندما يتماسى مع الثقافة يستعيد ثوابتها ويربطها بكم الوقائع النصية بوصفها رموزا، كما يستعيد الذوات الثقافية بوصفها أفكارا مجردة»[5]

---

[1]– عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص11.

[2]– عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه " دراسة في سلطة النص"، ص8.

[3]– حسين السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، (دار الفارس، الأردن، 2003)، ص13.

[4]– محمد أحمد البنكي: قراءة في نموذج التسويق الثقافي... الغذامي بوصفه مسوق، ضمن كتاب عبد الله الغذامي والممارسة النقدية الثقافية، ص200.

[5]– محمد عبد المطلب: ذكرة النقد الأدبي، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2008)، ص106.

وعن المجددين يقول "الغذامي" في كتابه "الموقف من الحداثة" أنهم «أناس تتحرك في نفوسهم الفطرة البشرية، فيحسون بنقصهم وقصورهم، ولا يجدون أمامهم الجواب الكافي والشافي، فينطلقون يبحثون عنه ويردون المجهول حتى إذا وجدوا ما يعينهم على فهم واقعهم بادروا بأخذه وإن لم يجدوا ذلك فإن لكل مجتهد نصيبا»[1] الضعف والقصور صفات فطر عليها الإنسان. ومهما بلغ جهده الفكري المراتب العليا. إلا أنه لن يبلغ الكمال. والشيء نفسه ينطبق على النقد الأدبي فهو مجهود لمفكرين بشر في حقبة ما. لكن البشرية تتطور ومداركها تتسع ما يتطلب تطورا معرفيا يواكب هذا التطور، والنقد الثقافي الحل المناسب في مجال الدراسات الأدبية والثقافية. حسب وجهة نظر "الغذامي".

6. خاتمة

- ✓ يعمل النقد الثقافي على تذوق النص بوصفه قيمة ثقافية، لا بوصفه قيمة جمالية فقط.
- ✓ اتفق النقاد حول وظيفة النقد الثقافي والتي تمثلت في تشريح الخطابات الرسمية، الشعبية، الجماهيرية، الهامشية، وذلك بكشف الأنساق الباطنية المضمرة خلف الألفاظ المباشرة.
- ✓ تعتبر البداية الحقيقية للنقد الثقافي عند الغرب مع " فنسنت .ب. ليتش" ثم انتقل إلى العرب على يد "عبد الله الغذامي" الذي عربه وقدم العديد من المؤلفات التي كانت دراسات للنقد الثقافي، وأخرى تطبيقات على التراث العربي.
- ✓ لم يقتصر العمل النقدي على هذا المشروع على "الغذامي" فحسب بل هناك ثلة من النقاد الذين أولوه عناية كبيرة أمثال: "جاسم حسين الموسوي"، حفناوي بعلي"، "عبد القادر الرباعي"، "عبد النبي اصطيف"...
- ✓ يسهم النقد الثقافي في كشف الأنظمة الثقافية والإشكاليات الإيديولوجية، وأساليب الهيمنة المختزنة في النصوص على اختلاف أنواعها.
- ✓ يقوم بتأويل الأقنعة والرموز الموجودة في الجملة الثقافية المضمرة داخل الجملة البلاغية .
- ✓ نقد الثقافي يبتعد عن الانتقائية المتعالية بكسر مركزية الخطاب الرسمي.
- ✓ يعيد النظر في الكثير من الفنون الأدبية على أساس علاقتها بالثقافة دون المبالاة بأحكام النقد الأدبي عليها (ألف ليلة وليلة) مثلا.
- ✓ يربط العلوم الإنسانية بالأدب مما يسهم في إثراء النصوص.
- ✓ يدحض بعض المسلمات التي كانت قوام النقد الأدبي.
- ✓ يكشف عن المثاقفة القائمة على اتصال ثقافتين مختلفتين؛ بحيث يعرض هذا الاتصال تغير في شكل الثقافة الأصل أو إقصائها (الاستشراق، أعمال ما بعد الكولونيالية).
- ✓ يلم بسيرة المبدع ويعمل على الربط بين إبداعه وثقافته.

[1] – عبد الله الغذامي: الموقف الحداثة ومسائل أخرى، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء، 1991)، ص19.

7. قائمة المراجع:

- ابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، (دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2005).
- آرثر آيز برجر: النقد الثقافي "تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2003).
- جميل حمداوي: النقد الثقافي بين المطرقة والسندان(2012)، موقع ديوان العرب،https://www.diwannalarab.com
- حسين السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، (دار الفارس، الأردن، 2003).
- حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، (منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007).
- حفناوي بعلي: مسارات ومدارات ما بعد الحداثة " في ترويض الخطاب "، (دروب النشر والتوزيع، عمان، 2011).
- سعد البازعي، ميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002).
- سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل العربية نحو كتابة عربية رقمية، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008).
- طراد الكبيسي: مدخل في نظرية الأدب، (دار اليازوري العلمية، عمان، 2009).
- عبد الرحمان بن اسماعيل السماعيل: الغذامي الناقد قراءات في مشروع الغذامي النقدي، (مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، 2002).
- عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه "دراسة في سلطة النص"، سلسلة عالم المعرفة، العدد 298، نوفمبر 2003.
- عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، (دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2007).
- عبد الله الغذامي: الثقافة التلفزيونية "سقوط النخبة وبروز الشعبي"، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005).
- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير "من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر"، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998).
- عبد الله الغذامي: الموقف الحداثة ومسائل أخرى، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991).
- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، (دار الفكر، بيروت، 2004).
- عبد الله محمد الغذامى: النقد الثقافي " قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005).
- عز الدين المناصرة: النقد الثقافي المقارن، (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2005).
- فنسنت . ب. ليتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، (المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، 2000).
- محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 2005).
- محمد بن لافي اللويش: الجمالي والفكري قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغذامي، (مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2010).
- محمد عبد المطلب: ذكرة النقد الأدبي، (المجلس الأعلى للثقافة، لقاهرة، 2008).
- ناظم عودة: تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، (دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2009).
- يوسف عليمات: النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، (جدار الكتاب العالمي، عمان، 2009).